الآفاق

مجلة أسبوعية تهتم بشؤون الحوزات العلمية

- السنة الرابعة
- الـ ١٣٥
- الإثنين
- ٢٢ رجب ١٤٤٧ هـ‌ق
- ١٢ يناير ٢٠٢٥ م
- ٤ صفحات
- ٢٠٠٠٠ ريال

العقل العلمي والأخلاقي في القرآن الكريم
■ بقلم الشيخ شفيق جرادي
٤

الإمام الخامنئي لدى لقائه أهالي مدينة قم
الأمريكيون هُزموا في الماضي بسبب التخطيط الخاطئ واليوم أيضاً سيُهزمون
١

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام:

«إنَّ الفِتَنَ إذا أقبَلَت شَبَّهَت، وإذا أدبَرَت نَبَّهَت، يُشَبِّهنَ مُقبِلاتٍ ويُعرَفنَ مُدبِراتٍ، إنَّ الفِتَنَ تَحومُ كالرِّياحِ يُصِبنَ بَلَدا ويُخطِئنَ أُخرى.»

نهج البلاغة، الخطبة ٩٣

نبارك لكم ذكرى المبعث النبوي الشريف

إنما بعثتُ لأتمّم مكارم الأخلاق

كلمة رئيس التحرير

البعثة

منعطف في تاريخ البشر

إن بعثة النبي الخاتم صلى الله عليه وآله تعتبر نقطة عطف في تاريخ الأديان والحضارة الإنسانية. فنزول أولى آيات الوحي في غار حراء وبدء رسالة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله يشكل بداية مرحلة جديدة في تنظيم الحياة الفردية والاجتماعية للإنسان. لقد مهدت هذه البعثة التي استهدفت هداية البشر وتخليصه من الانحرافات الفكرية والأخلاقية والاجتماعية بشتى أنواعها، للانتقال من العصر الجاهلي إلى عصر آخر جديد له مؤشرات معرفية وأخلاقية وحضارية حديثة.

في عصر البعثة كانت شبه الجزيرة العربية، شأنها شأن كل الحضارات المعروفة وقتئذ، تعاني من اضطرابات اجتماعية وأخلاقية جثيمة، كما حددت الأزماتُ الفكرية، قدرات الإنسان في المجابهة النقدية لقضايا الحياة الأساسية. ففي مثل هذه الظروف، جاءت البعثة النبوية كتلبية إلهية لحاجات الإنسان المعرفية والأخلاقية والاجتماعية. والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله الذي كان قبل البعثة شهيرا بالأمانة والحكم العادل في مجتمع مكة، وفي الأربعين من عمره الشريف، أخذ على عاتقه مسئولية هدفُها إصلاح البُنى الفكرية والاجتماعية الأساسية للمجتمع.

الدعوة إلى التوحيد هي المحور الرئيس لبعثة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله. هذا المفهوم لا ينحصر في البعد العقدي، بل له دور أساسي فاعل في إعادة النظم الاجتماعي. فالتوحيد ينفي الوسائط الموهومة والأصنام المادية وبذلك يرفع رؤية الإنسان المعرفية من المستوى المادي ويهيء الأرضية لتكوّن مسئولية أخلاقية واجتماعية لديه. ومن هنا يمتلك التوحيد طاقة عظيمة في تنظيم جميع مجالات الحياة الفردية والاجتماعية في نطاق منسجم ومتناغم.

لقد أحيت البعثة النبوية، العقلانية الدينية ومكافحة الخرافات واستطاعت بذلك تحرير الإنسان من قيد الجهل وتوجيه سلوكه الفردي والاجتماعي نحو الغائية والمعنوية. وهذا التحول أدى إلى تكوّن مجتمع حلت فيه القيم الإنسانية محل العلاقات المبنية على القبيلة والتمييز.

يمكن اعتبار بعثة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله إجابة شاملة لأزمات عصره المعرفية والأخلاقية والاجتماعية؛ حيث تمكنت من إعادة بناء هياكل المجتمع الإنساني المتزعزعة وتقديم نموذج خالد لإصلاح الفرد والمجتمع، وذلك على أساس محور التوحيد والأخلاق والرحمة. فمن هذا المنظور ليست البعثة حدثا تاريخا بحتا، بل طاقة حضارية يمكن إعادة قرائتها وتحقيقها في كل عصر وفي كل مجال.

◆ الإمام الخامنئي لدى لقائه أهالي مدينة قم
الأمريكيون هُزموا في الماضي بسبب التخطيط الخاطئ واليوم أيضاً سيُهزمون

التقى الإمام الخامنئي صباح اليوم (الجمعة)، بمناسبة ذكرى انتفاضة أهالي قم التاريخية في ١٩٧٨/١/٩، جمعاً غفيراً من أهالي المدينة. وأشار في حديثه إلى أن سوء الحسابات لدى نظام بهلوي الفاسد وداعمه الرئيسي، أي أمريكا، مَهّد لهزيمتهما أمام الشعب الإيراني. وأكد سماحته: «إنّ الشعب الإيراني اليوم، الذي أصبح ببركة نظام الجمهورية الإسلامية أقوى بكثير مما كان عليه سابقاً من حيث الرؤية والقوة المعنوية والقدرات العسكرية، سيهزم أمريكا المتغطرسة والمبتلاة بالحسابات الخاطئة». وشدد على أن النظام الإسلامي المقتدر الذي قام بفضل دماء مئات آلاف الشهداء، لن يتراجع أمام شرذمة من المخربين ومثيري الشغب.

وأشار قائد الثورة الإسلامية إلى بعض أعمال التخريب في البلاد قائلاً: «هناك أشخاص ديدنهم التخريب؛ ففي الليلة الماضية في طهران وبعض المناطق الأخرى، قامت حفنة من المخربين بتدمير مبانٍ تعود لبلدهم، استرضاءً للرئيس الأمريكي».

وأضاف الإمام الخامنئي: «إن كان (الرئيس الأمريكي) قادراً، فليذهب ليدير شؤون بلده الذي يواجه أزمات شتى. لقد تلطخت يداه في حرب الإثني عشر يوماً بدماء أكثر من ألف إيراني، وقد اعترف بنفسه قائلاً: "أنا من أصدر أمر الهجوم"، ثم يأتي هذا الشخص نفسه ليزعم أنه نصير للشعب الإيراني!».

وأوضح سماحته أن الجمهورية الإسلامية لا تطيق العمالة للأجنبي، كما أن الشعب الإيراني يرفض العمالة للخارج أياً كان شكلها. وفيما يتعلق بالرئيس الأمريكي، قال: «ليعلم ذلك الشخص الذي يتحدث عن العالم أجمع ويُصدر الأحكام بعنجهية وغرور، أن مستبدي ومستكبري العالم من أمثال نمرود وفرعون ورضا خان ومحمد رضا بهلوي، قد سقطوا وهم في أوج غطرستهم، وهو أيضاً سيسقط».

وفي جانب آخر من كلمته، عدّ الإمام الخامنئي سياسات النظام البهلوي وأمريكا وحساباتهما الخاطئة كانت السبب وراء اندلاع انتفاضة أهالي قم الحاسمة، وأضاف: «قبل عشرة أيام من انتفاضة أهالي قم الشرفاء، وصف الرئيس الأمريكي في طهران إيرانَ في العهد البهلوي بأنها "جزيرة الاستقرار"، وأثنى على ذلك النظام العميل، مما أثبت بوضوح أنه لا يعرف حقيقة الشعب الإيراني».

وفي معرض تبيينه للوقائع والحقائق التاريخية، ومع الإشارة إلى استمرار الأخطاء العميقة في حسابات أمريكا تجاه الشعب الإيراني ونظام الجمهورية الإسلامية، أكّد سماحته: إنّ هذه الأخطاء نفسها قادت أمريكا في ذلك اليوم إلى الهزيمة، واليوم أيضاً لن تجني منها إلا الهزيمة.

وفي تبيينه «دروس وأسباب انتصار انتفاضة قم والشعب الإيراني في إسقاط النظام البهلوي» أضاف الإمام الخامنئي: في ذلك اليوم، لم يكن الشعب الإيراني يمتلك سلاحاً صلبًا كالدبابات والمدافع، لكنه كان مجهزاً بالسلاح المعنوي الناعم الذي هو العنصر الحاسم في جميع الميادين.

وعدّ سماحته الإيمان بالإسلام، والغيرة الدينية، والحمية الإيمانية، والإحساس بالمسؤولية وأداء الواجب، وحبّ إيران من العناصر الفكرية البرمجيّة للشعب الإيراني في مواجهة النظام البهلوي العميل، وأضاف: كان الشعب يرى أنّ الأمريكيين ومرتزقتهم والمرتبطين بالصهاينة يحكمون بلده، وكانت هذه الوقائع ذاتها تجعله غاضباً وساخطاً ومستاءً.

وأكد قائد الثورة الإسلامية في معرض تبيينه نتائج صمود الشعب الإيراني في مواجهة غطرسة أمريكا: الشعب الإيراني الشامخ اليوم، هو أقوى من حيث السلاح الفكري والمعنوي، وأكثر انسجاماً واستعداداً مما كان عليه في تلك الحقبة، ومن حيث القوة المادية أيضاً فإن وضعه غير قابل للمقارنة مع ذلك الحين.

وعدّ قائد الثورة الإسلامية قضايا أمريكا اللاتينية نموذجاً لمساعي أمريكا للاستيلاء على موارد الشعوب، وقال: إنهم يفرضون حصاراً على بلد ما ثم يقولون بوقاحة إننا فعلنا ذلك من أجل النفط، كما أنّ نفط إيران ومواردها قبل الثورة كانت في يد المستكبرين والصهاينة وعملائهم.

وأضاف الإمام الخامنئي، مع التذكير بعداوة الأمريكيين المستمرة للجمهورية الإسلامية: بفضل الله، إنّ النظام الإسلامي يزداد قوةً يوماً بعد يوم، وقد فشلت مؤامراتهم لإسقاطه، بحيث إنّ الجمهورية الإسلامية اليوم، على خلاف إرادتهم، هي دولة قوية، شامخة وذات مكانة مرموقة في العالم.

كما أوضح قائد الثورة الإسلامية أنّ سبب هزيمة العدو، على الرغم من توظيفه شتّى أنواع الهجمات وتجنيد المرتزقة، هو حاكمية الجمهورية الإسلامية، وقال: لو كانت تحكم إيران حكومة ديمقراطية ليبرالية، أو ملكية، أو تابعة لهذا الطرف أو ذاك، لما استطاعت الصمود أمام هذه الضغوط، لكن النظام الإسلامي والشعبي تمكّن من إيصال إيران إلى إنجازات كبرى في العلم والتكنولوجيا والسياسات الدولية وفي مجالات كثيرة أخرى.

ورفض قائد الثورة مزاعم عزل إيران رفضًا قاطعًا، وأضاف: إنّ هذه الادعاءات التي تبدأ من الأجانب ويتبعها بعض الأشخاص في الداخل، ليست سوى خداع للنفس، لأنّ إيران اليوم تُطرح في العالم بوصفها دولة مستقلة، شجاعة وذات مستقبل.

وعدّ سماحته الشبابَ مصدرَ كثير من نشاطات البلاد وتقدّمها، وقال: في المحصّلة، إنّ فئة الشباب، خلافًا لأكاذيب العدو، هي من أهم امتيازات إيران.

وأشار الإمام الخامنئي إلى أنّ سعي العدو هو تقديم صورة الشاب الإيراني كعنصر منحرف، تابع للغرب، معرض عن الدين، فاسد وذو روحية ضعيفة، وأضاف: إنّ هذه الصورة خاطئة مئة في المئة. فالشاب الإيراني هو الذي يكون في الحرب شهمًا، وفي السياسة بصيرًا ويعرف [حقيقة] أمريكا، وفي الشؤون الدينية ملتزمًا.

وعدّ سماحته محورّية الشباب في الأبحاث وأنواع التقدّم العلمية في البلاد، مثل إرسال الأقمار الاصطناعية إلى الفضاء، إلى الصناعة النووية، والخلايا الجذعية، وتقنية النانو والأدوية؛ كلّها تجليات أخرى لجهوزية الشاب الإيراني لأداء دور ريادي ومتقدّم في كل ساحة يُحتاج إليها.

وفي الختام أكد الإمام الخامنئي: إنّ الشعب المتّحد والمتماسك يتغلّب على أيّ عدو، وإن شاء الله، قريبًا سيبلغ الإحساس بالانتصار ذروته في قلوب جميع أبناء الشعب الإيراني.

◆ آية الله العظمى مكارم الشيرازي يدعو إلى الوحدة ويحذر من استغلال العدو لمطالب الشعب

وكالة أنباء الحوزة - على خلفية الأحداث الأخيرة التي شهدتها البلاد، أصدر المرجع الديني آية الله ناصر مكارم الشيرازي، أمس ١٠ يناير ٢٠٢٦، بيانًا موجّهًا إلى الشعب الإيراني، وخاصة الشباب، أكد فيه: "لا تسمحوا لعناصر العدو باستغلال مطالبكم المشروعة كذريعة للتطاول على المقدسات، وتدمير الممتلكات العامة والمساجد، بل وحتى التعدي على الممتلكات الخاصة وحرمة الناس؛ يجب أن تفصلوا صفوفكم عنهم".

وفيما يلي ترجمة نص الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الشعب الإيراني النبيل؛

لقد آلمت الأحداث والتطورات الأخيرة في الأيام الماضية قلب كل إنسان غيور. لقد دفع هذا الشعب ثمنًا باهظًا من أجل استقلاله وعزته، والآن، بينما يخطط العدو بجدية أكثر من أي وقت مضى للإضرار بهذه الأرض وشعبها، يجب علينا الحفاظ على وحدتنا أكثر من أي وقت مضى. لذلك، أودّ أن ألفت انتباهكم إلى عدة نقاط ضرورية:

أولًا: إن المشاكل القائمة في السوق ومعيشة الناس تؤذي قاطبة الشعب، لكن على الجميع، وخاصة النخب والشخصيات المؤثرة في المجتمع، أن يحرصوا على ألّا تتحول هذه الاحتجاجات المشروعة إلى ذريعة للاستغلال.

ثانيًا: من الضروري أن يبدي المسؤولون المحترمون في جميع السلطات آذانًا صاغية لمطالب الشعب العزيز. ولا شك أن توضيح الوضع الراهن والمشاريع الجارية لحل المشاكل، من خلال الحوارات والمناظرات مع المتخصصين، سيكون له تأثير مهم في تهيئة أذهان الناس.

ثالثًا: يجب على المسؤولين المضي قدمًا في مكافحة الفساد وقطع أيادي الانتهازيين من خلال مراقبة أقوى، دون أي تساهل في هذا الصدد.

رابعًا: أقول لعامة الناس، وخاصة المراهقين والشباب الأعزاء، إن الفوضى لن تحل أي مشكلة.

أولادي الأعزاء! لا تسمحوا لعناصر العدو باستغلال مطالبكم المشروعة كذريعة للتطاول على المقدسات، وتدمير الممتلكات العامة والمساجد، بل وحتى التعدي على الممتلكات الخاصة وحرمة الناس؛ يجب أن تفصلوا صفوفكم عنهم.

أعزائي، يجب علينا جميعًا أن نساعد حماة الأمن على إعادة الهدوء الكامل إلى المجتمع؛ انظروا إلى سوريا وليبيا وأمثالهما، وكيف فقدوا عزتهم وأمنهم، وسيطر عليهم العدو الأجنبي؛ إنهم ليسوا حريصين علينا، بل يسعون للإضرار بهذه الأرض والاستيلاء على ثرواتها.

على جميع الشعوب والقوميات الإيرانية، من أتراك وأكراد ولور وعرب وفرس وبلوتش وغيرهم، أن يعلموا أن إيران الموحدة والقوية فقط هي التي يمكنها توفير الأمن والراحة للجميع.

إنّ واجب المؤسسات الثقافية والمؤثرة، بالإضافة إلى دور الأُسَر الأساسي، هو توجيه المراهقين والشباب من خلال توضيح الحقائق ونقاط القوة وبثّ الأمل، لأن ثروة البلاد هي هذه القلوب النقية التي تتعرض لهجوم الشبهات والفساد.

آمل أن يظل هذا البلد والنظام، في هذه الأيام والليالي من شهر رجب المبارك، في ظل رعاية الإمام المهدي صاحب العصر أرواحنا فداه، وبفضل تعاون الشعب والمسؤولين، في مأمن من أي أذى يخطط له الأعداء، إن شاء الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

◆ آية الله العظمى نوري الهمداني: إثارة الفتنة خيانة للوطن والنظام الإسلامي ويجب مواجهتها

وكالة أنباء الحوزة - أصدر المرجع الديني آية الله حسين نوري الهمداني بياناً على خلفية الأحداث الأخيرة التي شهدتها البلاد، مشيراً إلى استغلال الولايات المتحدة والكيان الصهيوني وعملائهما الداخليين للمطالب المشروعة للشعب المتعلقة بالمشاكل المعيشية. وقال في بيانه: "أظهرت أمريكا وإسرائيل على مر السنين، كما حدث في الحرب التي استمرت ١٢ يوماً، أنهما لا تضعان أي خطوط حمراء لتدمير هذه الأرض، وأن هدفهما الوحيد هو تمزيق أرض إيران الإسلامية العزيزة ونهب موارد البلاد".

وشدد آية الله نوري الهمداني على ضرورة أن يميز الشعب نفسه عن المثيرين للشغب، وأن يفضح الخونة الذين يسعون لزعزعة استقرار الأمة. كما أكد إدانته لأي فتنة أو خيانة تستهدف النظام والثورة وأرض الوطن، وذلك في إطار دعمه للقائد الأعلى للثورة الإسلامية والمطالب المشروعة للمواطنين.

ودعا المسؤولين إلى التحرك الجاد والمستمر على مدار الساعة لمعالجة المشاكل الاقتصادية التي يعاني منها الشعب، مؤكداً أن هذا الأمر يتطلب جهوداً حثيثة لضمان استقرار البلاد ورفاهية المواطنين.

سيماء الصالحين

كانت عادة الشيخ الأنصاريﷺ أنه بعد رجوعه من مجلس درسه يذهب مباشرة إلى والدته ليسلّي هذه العجوز بالحديث معها. ذات يوم قال لأمه: «أتذكرين أيام طفولتي عندما كنتُ منشغلا بدراسة المقدمات وكنتِ ترسليني لقضاء حوائج البيت، فكنتُ أؤجلها إلى ما بعد الانتهاء من الدرس والمباحثة، فكنتِ تغضبين وتقولين: "أنا بلا خلَف"؟ فهل ما تزالين بلا خلف؟» وأجابت أم الشيخ مازحة: «نعم، مازلتُ كذلك؛ لأنك آنذاك لم تكن تقوم باحتياجات البيت، واليوم لشدة احتياطك في صرف الأموال الشرعية ضيقت علينا الخِناقُ».

المصدر: سيماء الصالحين، ص ٣٦٣

كلمات للحياة

رحمة التأخير الإلهي

قد يتأخر منح العطايا، لكنه ليس حرمانا، بل رحمة مستترة؛ إذ إن الحكيم لا يمنح إلا عندما تستقر القلوب على تحمل النعم، ولا يفتح الأبواب إلا إذا كان العبور خيراً لا فتنة. فما تعتبره انتظاراً، هو في علمه إعداد، وما تحسبه صمتاً، هو تدبير يُرتب بلطف لا تراه العيون. فأسلم أمرك لمن يعرف أسرارك قبل دعائك، ويختار لك قبل رغبتك، ويهديك إلى الخير حتى لو خالفت خطاه أهواءك. تخلص من عبء الاعتماد على نفسك، وألقه عند باب من لا تعجزه الوسائل، ولا تخطئه الأقدار؛ فحين تفوض، تطمئن، وحين تثق، تصل، وحين ترضى، تنفتح لك أبواب لم تطرقها قط... لأنه إذا أعطى، أعطى بكرم يليق بجلاله، وإذا منع، منع بعلم يحميك، وهو خير الوكيل وخير النصير.

صدر حديثاً

هو دراسة تحليلية ومنهجية، تتناول بالتحليل والتبيين الرسالة التاريخية لسماحة آية الله العظمى الإمام الخامنئي (دام ظله) بمناسبة مرور مائة عام على إعادة تأسيس الحوزة العلمية في قم، وذلك من خلال مقاربة حضارية ودولية. هذه الرسالة، التي تتجاوز التوصيات الداخلية للحوزة، تُقدَّم باعتبارها خارطة طريق للتحول العلمي، الثقافي، والعالمي للحوزات العلمية في القرن الجديد. ويسعى هذا العمل إلى تحويل المفاهيم الاستراتيجية للرسالة إلى نموذج تنفيذي لإعادة صياغة الدور العالمي للحوزة، عبر صياغتها في إطار منظم.

وقد صدر الكتاب باللغة العربية في ٣٢٠ صفحة، بهدف إبراز الطبيعة العالمية لرسالة القائد؛ وهي رسالة ترتقي بالحوزة من مجرد مؤسسة تعليمية إلى أن تكون "الشجرة الطيبة للحضارة الإسلامية" والذراع المعرفي للأمة على المستوى الدولي. قام المؤلفون بتحليل المحتوى واستشراف المستقبل لترجمة الأبعاد المعرفية، والحضارية، والإدارية للرسالة إلى نماذج قابلة للتطبيق.

هيكلية ومحتويات الكتاب:

يتألف هيكل الكتاب من ستة فصول:

- الفصل الأول: يشرح الأسس الفكرية للرسالة والمفاهيم الأساسية فيها، مثل: «الرسالة العالمية»، و«المسؤولية الحضارية»، و«التجديد العلمي».
- الفصل الثاني: يستعرض الرسالة التاريخية للحوزة وصلتها بمسار المائة عام لعلماء قم والنجف.
- الفصل الثالث: يتناول المهمات العالمية للحوزة في مواجهة الحرب الناعمة، والشبهات الفكرية، وأزمة الروحانية.
- الفصل الرابع: يقدم ثلاث عشرة (١٣) استراتيجية عملية لتحقيق الرسالة - بدءا من تربية النخب العالمية وصولًا إلى الدبلوماسية العلمية وجهاد التبيين.
- الفصل الخامس: يتطرق إلى المتطلبات المؤسسية والإدارية للتحول، ومن ضمنها التخطيط الكلي، وتوفير الموارد، والتنسيق الهيكلي.
- الفصل الأخير: يرسم رؤية ٢٠٣٥، التي تتحول فيها الحوزة إلى قطب فكري للحضارة الإسلامية الحديثة وشبكة عالمية من المراكز العلمية.

يسعى الكتاب، من خلال تقديمه للجداول، وخرائط الطريق، والأطر التنفيذية، إلى الارتقاء برسالة القيادة من مستوى البيان إلى مستوى النموذج الحضاري العملي. كما يهدف إلى إظهار أن الحوزة في العصر الجديد يجب أن تتحول إلى منظمة عالمية لإنتاج المعنى، والهداية الفكرية، والمقاومة الثقافية.

■ مقالة/ الجزء الثالث والأخير

استقطاب غير المتدينين: التحديات والأساليب

■ بقلم: محمد درويش

⚠ الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها

■ نواقص الخطاب الديني في جذب غير المتدينين

رغم أصالة تلك التوجيهات الشرعية، نعاني أحيانًا من نواقص وعيوب في الخطاب الديني المعاصر تجعل الكثير من العلماء والخطباء غير قادرين على جذب غير المتدينين. ومن أبرز هذه النواقص:

أسلوب الوعظ التقليدي الجاف: لا يزال بعض الوعّاظ يعتمدون لغة تقليدية مملّة أو أسلوب التخويف والترهيب المكثّف، ظنًا أنه كافٍ لهداية القلوب. لكن الواقع المعاصر تغيرت فيه أذواق الناس وطرق تقبّلهم للمعلومة. فالخطيب الذي يكرر نفس الكلام المسموع منذ عقود دون ارتباط بواقع الشباب وتحدياتهم المعاصرة، سيفقد اهتمام غير المتدين بسرعة.

انعدام التواصل الفعّال مع الناس: يشتكي بعض الشباب أن بعض العلماء «لا يحاولون التواصل مع الناس وتشعر أنهم وحدهم يعرفون الدين والباقي جهلاء، بالإضافة إلى عبوسهم المفرط». هذا النقد يعكس فجوة بين بعض المتدينين وبقية المجتمع: غياب الابتسامة، وندرة الحوار، والنظرة الفوقية للمخاطب كلها أمور تنفّر الشاب غير الملتزم. يفترض بالعالم والمبلّغ أو الخطيب أن يكون بشوشًا قريبًا من الناس، يستمع أكثر مما يتكلم، ويحاور من موقع الأخ لا المعلّم المتعالي.

التركيز على المظاهر دون الجوهر: كثيرًا ما يُختزل التدين في أعين الناس بصور شكلية (كالزيّ أو بعض العبارات) دون إبراز العمق الروحي والأخلاقي للدين. عندما لا يرى غير المتدين من الخطاب الديني سوى القشور والجدل حول الجزئيات، ويندر أن يسمع عن معالجة مشكلاته الحياتية ونفسيته القلقة من منطلق ديني، فسوف يعتبر الدين شيئًا منفصلًا عن واقعه. هذا قصور في تقديم الصورة الشمولية للإسلام كمنهج حياة متكامل.

ضعف استخدام وسائل الإعلام الحديثة: ذكرنا أهمية الإعلام، لكن لا يزال المحتوى الديني الرقمي أقل جاذبية مقارنة بالمحتويات الترفيهية التي تغمر وسائل التواصل. كثير من العلماء التقليديين لم يواكبوا تقنيات إيصال الرسالة الحديثة، فاكتفوا بالمنابر أو الدروس الطويلة (ببثها أو بلا بث)، بينما انصرف الشباب إلى المنصات الرقمية السريعة والمحتوى المخصَّص له. هذه فجوة تقنية ومعرفية يجب سدها عبر تدريب المبلغين على مهارات التواصل الرقمي وصناعة المحتوى الذي يجذب العقول والقلوب.

غياب القدوات الحية المؤثرة: الشباب غير المتدين قد لا يتأثر كثيرًا بمحاضرة عن الصحابة أو الأئمة إذا لم يستطع ربطها بواقع ملموس. عندما يغيب في مجتمعه عالم دين يحمل صفات القدوة (كالتواضع، وبساطة العيش، والتفاعل مع قضايا الناس)، يرسخ في ذهنه صورة نمطية سلبية عن العلماء. للأسف، أي تصرفات سلبية أو أخطاء تصدر من محسوبين على التيار الديني – وإن كانت قليلة – تُعمّم وتسوّغ عزوف الكثيرين من غير المتدينين عن المتدينين.

هذه بعض النواقص، ومعرفتها أول خطوة للعلاج. يجب أن يبدأ العلماء وطلبة العلوم الدينية بنقد ذاتي لتحسين أسلوبهم وخطابهم، وألّا يُلقوا اللوم كله على الطرف الآخر (أي غير المتدينين). وكما قال الإمام الخامنئي مؤخرًا: «لا يصح أن نعزو عدم انجذاب الناس إلى ضعف دينهم، فاعتقادات الناس لم تضعف أبدًا»؛ بمعنى أنه إذا لم ينجذب الناس للخطاب الديني، فالمشكلة قد تكون في أسلوبنا لا في جوهر إيمانهم.

■ أساليب علمية وعملية لجذب غير المتدينين

لا تكفي النوايا الحسنة مالم تُترجم إلى أساليب مدروسة تراعي عقلية غير المتدينين واهتماماتهم. فيما يلي بعض الأساليب العلمية والعملية المقترحة:

بناء جسور الثقة والصداقة: تعتبر الخطوة الأولى كسب الثقة عبر التواصل الشخصي. نقرأ في سيرة الشهيد إبراهيم هادي – وهو شاب رياضي – أنه نجح في جذب الشباب البعيدين عن الدين بأسلوبه الودّي؛ فقد «كان يصادق الفتية الذين لا مظهر ديني لهم ولا اهتمام لهم بالمسائل الدينية، ثم يجذبهم إلى الرياضة ويأخذهم بالتدريج إلى المسجد» . هذه الاستراتيجية في استقطابهم عبر اهتمام دنيوي مشترك (كالرياضة أو هواية معينة) أثبتت نجاعتها، لأنها تكسر الحواجز النفسية وتجعل الانتقال للحديث عن الدين سلسًا.

استخدام منهج التدرّج والحكمة: من الخطأ مطالبة غير المتدين بالالتزام الفوري بكل الشعائر؛ بل ينبغي التدرج معه خطوةً خطوة. على سبيل المثال، يمكن تشجيعه على فضيلة أخلاقية أو عادة عبادية بسيطة في البداية. التدرّج سنة نبوية في التبليغ، حيث أرسل النبيﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن قائلًا: «يسِّر ولا تعسِّر، وبشِّر ولا تنفِّر» . وهذا الإرشاد النبوي يضع منهجية واضحة: اجعل الأمور سهلة ميسورة في البداية ولا تواجه الناس بالتعقيدات منذ اللحظة الأولى، وأبرز لهم الجوانب الرحيمة والبشائر في الدين بدلًا من الإكثار من التحذير والترهيب.

الخطاب المتمحور حول اهتماماتهم وقيمهم: كثير من غير المتدينين يهتمون بقضايا واقعية (كالعدالة الاجتماعية، والكرامة الإنسانية، وحقوق الإنسان). من الناجع ربط هذه القيم بالدين، وإظهار كيف أن التعاليم الدينية تدعمها. مثلًا، إبراز دور الإسلام في نصرة المظلوم وإطعام الفقير سيكسر الصورة النمطية في أذهان البعض بأن الدين يهتم فقط بالطقوس. هكذا فعل الإمام موسى الصدر في لبنان؛ فقد خاطب اليساريين والعلمانيين بمنطق العدالة الاجتماعية ورفع الحرمان، فقاد "حركة المحرومين" التي جمعت أطيافًا متنوعة تحت مظلة قيم إنسانية مستمدة من الدين. إذًا، تكييف محتوى التبليغ ليتقاطع مع أولويات المخاطَبين مفتاح لجذب اهتمامهم.

توظيف التقنيات الحديثة والإعلام الجذاب: يعيش غير المتدينين – كغيرهم – في عصر الإعلام الرقمي ووسائل التواصل. فلا بد من تقديم المحتوى الديني بأسلوب احترافي وجذاب بصريًا وفكريًا على هذه المنصات. الفيديوهات القصيرة المؤثرة، والقصص الواقعية الملهمة، وحملات التوعية الرقمية الذكية يمكن أن تصلهم حيث يقضون أوقاتهم. مع الحرص على أن يكون الخطاب شبابيًا ولغته معاصرة دون تكلف.

الإحسان العملي وخدمة المجتمع: الأعمال الإنسانية والخدمات الاجتماعية باسم الدين لها أثر كبير في كسر الحواجز. عندما يرى غير المتدين جهودًا صادقة من متدينين في تنظيف حي، أو حملة طبية مجانية، أو إغاثة منكوبين – دون النظر لهوية المستفيد – فإنه يدرك الجانب العملي الرحيم للدين. هذه الدعوة الصامتة قد توقظ في قلبه الاحترام والتقدير، وتمهّد لقبول الدعوة الكلامية لاحقًا. وقد ورد عن الأئمةﷺ قولهم: «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»، فرحمة الناس ورعاية مصالحهم من أنجع أساليب التبليغ.

تجنب الجدل الهجومي واحترام حرية القناعة: من الضروري انتهاج أسلوب الحوار الراقي بدل المناظرات الجدلية الحادة. غير المتدين غالبًا يتحسس من أي محاولة لإجباره فكريًا أو الإساءة إلى قناعاته حتى لو كانت خاطئة. احترام حرية الاختيار التي وهبها الله للإنسان (كما في قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾) هو مبدأ مهم. الإقناع الهادئ والإجابة عن الأسئلة والشبهات بصدر رحب أقرب لقبول نفوسهم من أي أسلوب فيه استعلاء أو تهجم.

باختصار، المنهج العلمي في التبليغ يقوم على التعرف على الطرف الآخر وفهم نفسيته، ثم مخاطبته بما يناسبه، والصبر على مراحل نموه الإيماني خطوة بخطوة.

■ الأساليب النفسية الموصى بها لجذب غير المتدينين

النجاح في مخاطبة من يعزفون عن الدين يتطلب فهمًا عميقًا لعلم النفس والإقناع. فيما يلي بعض الأساليب النفسية المفيدة:

إشعارهم بالتقبل غير المشروط: كل إنسان يحتاج إلى أن يُقبَل ويحترم كإنسان قبل أي شيء. غير المتدين ربما يتوقع من المتدين النفور منه أو الحكم عليه مباشرة. لذا يجب كسر هذه التوقعات بإبداء تقبلنا له كشخص وإن كنا نرفض بعض سلوكياته. عندما يشعر أننا نحبّه ونهتم لأمره لذاته، سيفتح قلبه لنا. هذا لا يعني إقرارنا بما يفعل، لكن يعني أننا نفرق بين الشخص وخطئه. التقبل غير المشروط حجر الزاوية في مدارس العلاج النفسي الحديثة لجعل الطرف المقابل ينخرط في التغيير. كذلك هو في التبليغ؛ لن يتغير أحد ما لم يشعر بالأمان معك.

الاستماع الفعّال والتعاطف: كثيرًا ما يحمل غير المتدين تصورات أو تجارب سلبية دفعته للابتعاد عن الدين. من أهم ما يمكن فعله هو الاستماع إليه بتعاطف. فبدل أن نبادره بوابل من النصائح، نعطيه مساحة يعبّر عما في داخله: قد يروي تجربة سيئة مع شخص متدين، أو أسئلة شك حيَّرته ولم يجد لها جوابًا. علينا أن نُقرّ بمشاعره ("أتفهم شعورك...") ونشعره أن همومه مفهومة وليست دليل خبث أو جهل منه. هذا يخفف مقاومته ويؤسس لعلاقة ثقة.

استخدام مبدأ المعاملة بالمثل: في علم النفس الاجتماعي، يميل الإنسان لمجاراة من يجامله ويحسن إليه. إن أظهرنا الاحترام والتقدير لغير المتدين، سيشعر بدافع لاحترام ما نمثله نحن (أي الدين). وإن قدمنا له معروفًا، سترتبط صورة المتدين في ذهنه بالإيجابية وربما يشعر بـ"دين معنوي" يود رده بالإنصات. قال تعالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ – أيْ عامِل حتى من يُبغضك بالحسنى، فقانون الفطرة سيجعل قلبه يرقّ لك.

تجنب المواجهة الجدلية المباشرة: يميل الإنسان حين يشعر أن معتقداته تُهاجَم إلى تبني وضعية الدفاع وربما العناد. لذا، من الحكمة تجنب المجابهة المباشرة في نقاش النقاط الخلافية – على الأقل في البداية. بدلاً من ذلك، يمكن طرح الأمور كـ"وجهة نظر" أو "تجربة شخصية" أو عبر قصة رمزية، وتركه يستنتج العبرة دون أن نضعه في خانة "أنت مخطئ". هذا أسلوب سقراطي يُشعره بالاستقلالية في تقرير الحقيقة.

توفير الدعم الاجتماعي والانتماء: أحيانًا يكون الدافع النفسي لترك الأجواء الدينية هو البحث عن الانتماء إلى مجموعات مرحة لا تكترث بالضوابط. هنا يمكننا العمل على خلق أجواء وأنشطة دينية شبابية مفعمة بالودّ والمرح المباح، ليشعر هؤلاء أن التدين لا يعني العزلة أو فقدان الأصحاب، بل بالعكس هناك مجتمع دافئ يمكن الانتماء إليه. احتواء أصدقاء السوء للشاب نقطة رئيسية: إن استطعنا دمجه في صحبة صالحة محبة، سنكسب نصف المعركة النفسية.

تعزيز الدافعية الذاتية: الهدف الأسمى أن ينبع في داخل غير المتدين دافع شخصي للاقتراب من الله. كل ما سبق يمهد لذلك. يمكن أيضًا استخدام أساليب التحفيز: كإشعاره بالتقدم إن التزم ولو بشيء يسير ("رائع أنك بدأت تصلي الجمعة! هذه خطوة كبيرة"). والتحفيز قد يكون معنويًا بالثناء، أو حتى مكافأة رمزية إن اقتضى الأمر (كما يفعل بعض المبلغين مع الأطفال والشباب في المسابقات). لكن الأهم زرع شعور الرضا الداخلي وحلاوة الإيمان شيئًا فشيئًا، فهذا الشعور متى تذوقه لن يتركه.

إن توظيف فهم النفس البشرية ليس خداعًا، بل معونة لتحقيق هدف نبيل. وقد استخدم الأنبياء أساليب فطرية في التبليغ توافق الفطرة الإنسانية؛ هذه الحكمة النفسية نحتاجها اليوم أكثر من أي وقت مضى.

■ تبسيط أم تعميق الخطاب الديني لغير المتدينين؟

أحد الأسئلة المهمة: هل نخاطب غير المتدينين بخطاب ديني مبسّط سطحياً أم نغوص معهم في العمق الفكري؟ والإجابة تعتمد على حالة المخاطَب ومستوى وعيه

شهداء الفضيلة

الشهيد حجة الإسلام والمسلمين السيد محمد علي الحائريﷺ

■ الولادة

ولد الشهيد السيد محمد علي الحائري في مدينة النجف االشرف عام (١٣٦٧ هـ (وفي عام (١٤٠٦ هـ) اعتقل واقتيد إلى سجون حزب البعث الكافر.

■ دراسته

درس الشهيد السعيد العلوم الدينية منذ نعومة اظفاره وبلغ مراتب علمية متقدمة.

■ أساتذته

درس الشهيد الراحل المقدمات والسطوح على يد شقيقه الأكبر آية الله السيّد كاظم الحائري، وشارك في دروس الخارج لدى السيد الشهيد محمد باقر الصدرﷺ، وأضاف إلى جانب دراسته اشتغاله في التدريس وتربية تلاميذ المدارس الدينية.

■ نشاطه واستشهاده

كان الشهيد الراحل من عشاق استاذه آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر ويرى فيه قدوته ومثله الأعلى في العلم والتقوى والجهاد، ولذا كان في طليعة المتحمسين في تقرير وتحرير دروس استاذه الكبير. بدأ الشهيد السعيد جهاده ضد طغمة حزب البعث مع فجر انتصار الثورة الإسلامية في ايران، وكان يؤيد الثورة وقائدها الإمام الخمينيﷺ في المحافل الشعبية والمجالس، ولا يفتأ يدافع عن الجمهورية الإسلامية الفتية وهي ترنو إلى تطبيق شريعة السماء في الأرض.

وبعد استشهاد آية الله الأستاذ مرتضى المطهري الذي اغتالته يد الغدر، بادر الشهيد الراحل الى إقامة مجلس عزاء وقراءة الفاتحة على روح الشهيد مطهري.

وفي عام (١٤٠٠ هـ) كثف الشهيد السعيد من نشاطه الجهادي وهب لزيارة الشهيد الصدر بعد اطلاق سراحه متحديا مرتزقة النظام الذين ضربوا طوقاً على منزل المرجع الشهيد.

تعرض للملاحقة الشديدة، فكان يعيش في الخفاء بعيداً عن انظار جواسيس النظام البعثي.

وفي عام (١٤٠٦ هـ) اعتقل الشهيد مع أفراد اسرته وانقطعت أخباره منذ ذلك الوقت. وبعد سقوط النظام المجرم تبيّن نبأ استشهاده إبّان فترة الاعتقال.

تعريف بكتاب

يعدّ موضوع القيم من الموضوعات الأساسيّة التي شغلت الفكر الإنساني منذ تاريخ طويل، فقد استأثر باهتمام الفلاسفة منذ بواكير التفلسف، ولا يزال. ومع انفصال العلوم عن الفلسفة أضحت القيم موضوعاً لفروع عديدة، منها: علم الاجتماع، والتربية، والاقتصاد، والأخلاق، والإنثربولوجيا... وبعد تفاقم الأزمة المعنويّة والأخلاقيّة في مجتمعاتنا المعاصرة، وبعد انسداد الآفاق أمام المشاريع الحضاريّة المهيمنة، يكتسب هذا الموضوع أهمّيّة خاصّة. على الرغم من أنّ الفكر الإسلاميّ المعاصر لم يخلُ من مساهمات، تسعى إلى توظيف التراث الإسلامي الكبير حول القيم والأخلاق بالاستفادة من أطروحات الفكر الغربيّ.

وقد صدر مؤخّراً عن مركز الأبحاث والدراسات التربويّة في بيروت (طباعة دار البلاغة) دراسة جديدة تحت عنوان: «منظومة القيم التوحيديّة: رؤية تأصيليّة لبناء علوم إنسانيّة من منظور حضاريّ»، للكاتب الدكتور حسان عبد الله حسان.

في هذه القراءة محاولة لاستكشاف المعالم الأساسيّة لهذه الأطروحة، وعرض بعض الملاحظات النقديّة؛ كتقويم أوليّ للجهد العلميّ الذي بذله الباحث، والنتائج التي وصل إليها.

التعريف بالكتاب:

جاء الكتاب في ٣٣٢ صفحة من الحجم الصغير، يحتوي على أربعة فصول تعالج تباعاً الموضوعات الآتية:

أولاً: إطار الدراسة ومنهجيّتها العامّة.

ثانياً: بناء مفهوم منظومة القيم التوحيديّة.

ثالثاً: خصائص منظومة القيم التوحيديّة.

رابعاً: أبعاد منظومة القيم التوحيديّة.

وينهي الباحث كتابه بخاتمة يورد فيها مجموعة من الخلاصات والنتائج.

المصدر: موقع "مجلة مع الشباب"

علماء وأعلام

الشيخ محمد حسن بارفروشي قدس سره

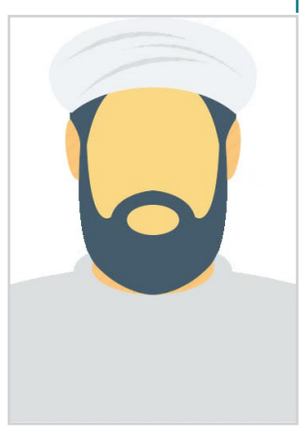

■ مولده ونسبه

ولد الشيخ محمد حسن بارفروشي المعروف بالشيخ الكبير في سنة ٥١٢٤٠ق في قزوين. أبوه ملا صفرعلي اللاهيجي كان من علماء قزوين والبارعين في الفلسفة والعرفان.

■ دراساته

درس الشيخ محمد مستوى المقدمات في الحوزة العلمية على أيدي أساتذة قزوين، ثم حضر دروس الشيخ محمد تقي برغاني (١٢٦٣ق) و محمد صالح برغاني (١٢٧١ق) في الفقه والأصول ومتزامنا معه تلقى الفلسفة والعرفان من والده ملا صفرعلي. وكل ذلك في حوزة قزوين العلمية التي كانت مزدهرة آنذاك.

■ أساتذته

ترك الشيخ بارفروشي قزوين مهاجرا إلى العراق لإكمال دراسته ونهلَ من مناهل علماء حوزة كربلاء والنجف. ومن أساتذته في العراق: الشيخ محمدتقي الهروي، الشيخ حسن بن محمد صالح برغاني، الشيخ زين العابدين المازندراني، الشيخ محمد حسين فاضل الأردكاني، الشيخ مرتضى الأنصارى، والشيخ محمد حسن صاحب الجواهر.

■ نشاطاته ومنزلته العلمية

عاد الشيخ محمد حسن بعد حصوله على درجة الاجتهاد والتخصص في العلوم المختلفة في العراق، إلى قزوين لأداء واجبه الديني والدعوي. ثم رجع إلى بابل مسقط رأس والده وقام فيها بواجبه الديني وإقامة الصلاة فى جامع بابل. وبعد وفاة الفقيه الكبير ملا محمد مقدس الأشرفى، ترك صلاة الجماعة موقتا احتراما لنجله تاركا الإمامة له وبعد رحلته عاد يؤم الناس فيه ثانية.

أخذت شهرة الشيخ محمد حسن بارفروشي، العلمية تنتشر وتتسع شيئا فشيئا حتى صار من المراجع ولكثرة مقلديه، طبعت رسالته العلمية باسم "صراط النجاة" وكان إلي جانب الزعامة الدينية، مرجعا للناس في مشكلاتهم الدينية والاجتماعية كما كان سندا للحوزات العلمية.

■ مؤلفاته

لقد خلف الشيخ بارفروشي آثارا قيمة في العلوم المختلفة، منها: سراج الأمة في شرح الروضة البهية، الحاشية على الرسائل، حديقة الشيعة في الأخلاق والمواعظ، نتيجة المقال في علم الرجال، شرح شرح تصريف تفتازاني، الحاشية على شرح تصريف تفتازاني، حديقة العارفين، ونظم تتميم الدرة في صلاة الجمعة.

■ تلامذته

لقد تربى بيده الكثير من العلماء، إلا أنه لم يُذكر في الكتب أسماءهم سوى أحمد بن جعفر أمين حسيني، كما حصل آية الله مرعشي النجفي على إجازته في رواية الحديث.

■ وفاته

توفي هذا العالم الجليل والفاضل في شوال ١٣٤٥ ق ودفن جثمانه الطاهر في مقبرة بارفروش بجوار مقبرة المولى محمد نصير المعروف بملا نصير.

واهتمامه:

تبسيط الأساسيات دون ابتذال: غير المتدين غالبًا يفتقر إلى كثير من المعرفة الدينية الأساسية أو لديه أفكار مشوّهة. من الخطأ أن نخاطبه بتفاصيل خلافية أو مصطلحات تخصصية منذ البداية. المطلوب هو تبسيط رسالة الدين في صورة مبادئ أخلاقية وإنسانية يفهمها العقل الجمعي. مثلاً: الحديث عن الرحمة، عن التكافل، عن الغاية من الحياة بطريقة سهلة. الرسول ﷺ كان يُراعي مستويات السامعين؛ فعندما أتى أعرابي يسأل عن الدين أجابه بكلمات معدودات عن الصلوات الخمس والصيام ولم يثقل عليه. فالتبسيط هنا يعني الوصول إلى جوهر الرسالة بلا تعقيد. على أن يكون التبسيط بعيدًا عن التسطيح أو تحريف المعاني؛ فقط نجعلها في متناول الجميع.

الغوص عميقًا عند وجود الاستعداد: بالمقابل، بعض غير المتدينين عزفوا عن الدين لأن ما قُدّم لهم منه كان سطحيًا أو تقليديًا لا يشبع نهمهم الفكري. هذه الفئة تحتاج خطابًا أعمق يقدّم الفلسفة العقلية للدين، يجيب عن تساؤلات الوجود ومعضلات العصر، ويظهر البعد الفكري الراقي للإسلام. فالشباب الجامعي المثقف مثلاً قد لا يقنعه مجرد الترغيب بالجنة والترهيب بالنار، بل يريد أن يفهم لماذا نؤمن وماذا قدّم الإسلام للحضارة وكيف يواجه شبهات الإلحاد. هنا يجب ألا نتردد في تقديم الأطروحات العميقة (كإعجاز القرآن، ومقارنة الأيديولوجيات، وفقه المقاصد...) ولكن بلغة مبسطة نسبياً ومقارِنة تشد انتباهه.

التدرج من البسيط إلى العميق: ربما المنهج الأمثل أن نبدأ بالأساسيات البسيطة الجذابة لترغيب الشخص، فإذا أنِس بنا وانفتحت مسامعه وقلبه، ننتقل شيئًا فشيئًا إلى المستويات الأعمق حسب قدرته. فلا نبقى عند قشور لا تشبعه ولا نقفز إلى أعماق تغرقه. على سبيل المثال: شاب لديه نزعة عدالة قوية لكنه يشكك في وجود إله – يمكن البدء بالحديث عن ظاهرة الظلم في العالم وكيف عالجتها الأديان، ثم نُدخل مفهوم العدل الإلهي رويدًا رويدًا، ومنها إلى إثبات حكمة الخالق. هذا سيناريو تدريجي يجمع التبسيط في أوله والعمق في نهايته.

باختصار، ليس هناك خيار واحد صالح لكل الأحوال؛ المعيار هو حالة الشخص وتدرجه المعرفي. المهم أن ندعوه بطريقة لا يملّ معها من السطحية ولا ينفر من الثقل الفكري قبل أوانه.

■ خاتمة: نحو احتضان الجميع

في الختام، يتبين لنا أن استقطاب غير المتدينين ليس مهمة مستحيلة ولا رحلة سريعة. بل هي مسار طويل من بناء الثقة والفهم المتبادل. يتطلب من المبلغين والعلماء تطوير أدواتهم وخطابهم، ويتطلب من عموم المتدينين التحلي بأعلى درجات الأخلاق وحسن المعاملة ليكونوا هم الدعوة المجسدة. كما يستلزم صبرًا ومثابرة؛ فالهداية بيد الله تأتي حين تتهيأ القلوب، وما علينا إلا البلاغ الجميل المستمر.

إن المجتمع المثالي ليس ذلك الذي يخلو من غير المتدينين، بل الذي لا يتخلى عن غير المتدينين ويعتبرهم أهلًا له يسعى برفق لهدايتهم وخيرهم. وكل فرد بعيد اليوم قد يكون قريبًا غدًا. فلنزرع بذور المحبة والإقناع في كل قلب، ولنسأل الله بصدق الهداية لنا ولهم. فربما من نستقطبه يصبح يومًا من قادة التبليغ وخيرة المتدينين – وقد رأينا عبر التاريخ العبر في تحولات الأشخاص عندما وُجدت اليد الحانية التي أخذت.

تمت

المصدر: موقع مركز البصيرة

■ مقالة

الهوية الدينية لجيل الشباب ودور الحوزات العلمية

■ رئيس التحرير

⚠ الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها

■ في العصر الحاضر، حيث يشهد العالم تحوّلات متسارعة ومذهلة، وتغمر موجات متلاحقة من التغيّرات الثقافية والاجتماعية والتكنولوجية حياة الإنسان، أصبحت قضية الهوية الدينية لجيل الشباب واحدة من التحديات الأساسية التي تواجه المجتمعات الإسلامية. وفي هذا السياق، تقع على عاتق الحوزات العلمية، بوصفها مراكز لإنتاج المعرفة الدينية وإعادة إنتاجها، مسؤولية جسيمة. يسعى هذا المقال إلى دراسة أبعاد هذه المسؤولية وسبل تفعيلها عمليًا.

■ أزمة الهوية لدى جيل الشباب

يقف شباب اليوم عند مفترق طريق بين عالمين: عالم عاش فيه آباؤهم وأجدادهم، وعالم جديد يتشكّل بسرعة هائلة. هذا الموقع الوسيط أوجد في أذهانهم تساؤلات عميقة. فسهولة الوصول إلى المعلومات عبر الإنترنت، والاحتكاك بأفكار متنوّعة وأحيانًا متناقضة، والفجوة بين التعاليم الدينية التقليدية وواقع الحياة الحديثة، كلها عوامل أدّت إلى تعقيد مسألة الهوية الدينية لدى الشباب.

بعض الشباب يتجه في مواجهة هذا الوضع إلى اللامبالاة الدينية، وبعضهم الآخر يحافظ على الدين بوصفه مجرد هوية ثقافية دون إدراك عمقه الروحي، في حين يسعى فريق ثالث إلى فهم جديد ومعاصر للدين. وهنا يبرز السؤال الجوهري: ما الدور الذي يمكن للحوزات العلمية أن تؤديه في تشكيل هوية دينية سليمة وحيوية لدى جيل الشباب؟

■ الفهم الدقيق للمخاطَب: الخطوة الأولى

لكي تؤدي الحوزات العلمية دورها بفاعلية، لا بد لها أولًا من فهم جيل الشباب المعاصر فهمًا صحيحًا. فشباب اليوم يختلفون جذريًا عن الأجيال السابقة؛ إذ نشؤوا في عالم رقمي، ولديهم وصول فوري إلى المعلومات، وهم أكثر تساؤلًا ونقدًا، ويتوقعون الحصول على إجابات مقنعة وعقلانية، لا مجرد تكرار أقوال السلف.

هذا الجيل لا يبحث عن الدين بوصفه مجموعة من القواعد المفروضة، بل يريده مصدرًا لإضفاء المعنى على الحياة. إنهم يريدون أن يعرفوا كيف يمكن للدين أن يجيب عن تساؤلاتهم الأساسية حول معنى الحياة، والعدالة، والحرية، والسعادة. ومن ثمّ، ينبغي على الحوزات العلمية أن تبتعد عن الأساليب التلقينية، وأن تتجه نحو الحوار والتفاعل الهادف مع الشباب.

■ إعادة النظر في الأساليب التعليمية

تُعدّ مراجعة الأساليب التعليمية من أهم واجبات الحوزات العلمية. فالنظام التعليمي التقليدي في الحوزات، القائم أساسًا على حفظ المتون وتكرار الشروح القديمة، لم يعد قادرًا على تلبية الحاجات المعرفية لجيل الشباب. لذلك، ينبغي للحوزات أن تعتمد أساليب تفاعلية، بحثية، وقائمة على معالجة القضايا والمشكلات.

يجب أن يرتبط تدريس العلوم الدينية بالقضايا الواقعية في حياة الشباب. فلا ينبغي أن تقتصر المباحث الأخلاقية على تعداد الفضائل والرذائل، بل يجب أن تتناول التحديات الأخلاقية المعاصرة، مثل أخلاقيات الفضاء الرقمي، والعدالة الاجتماعية، والبيئة، وحقوق الإنسان. كما ينبغي للفقه أن يتجاوز الأطر التقليدية الضيقة، وأن يولي اهتمامًا خاصًا بفقه المعاملات الحديثة، والفقه الطبي، والفقه الاجتماعي.

■ إعداد طلاب العلوم الدينية برؤية معاصرة

يتعيّن على الحوزات العلمية أن تُخرّج طلابًا لا يتقنون العلوم الإسلامية التقليدية فحسب، بل يمتلكون أيضًا معرفة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية، بل وحتى الطبيعية. فالدعاة ورجال الدين الذين يسعون إلى التواصل مع جيل الشباب، لا بد أن يفهموا لغتهم، ويعرفوا همومهم، ويكونوا قادرين على المشاركة في الخطاب المعاصر.

ويستلزم ذلك إدراج مواد دراسية مثل علم الاجتماع، وعلم النفس، والفلسفة المعاصرة، ودراسات الإعلام ضمن المناهج الحوزوية. فالطلاب الذين يتلقون هذه العلوم سيكونون أقدر على بناء جسر تواصل فعّال بين التراث الديني والحداثة.

■ الحضور الفاعل في الفضاء العام

لا ينبغي للحوزات العلمية أن تنعزل في أبراج عاجية، بل يجب أن يكون لها حضور نشط ومؤثر في الفضاء العام. ويمكن أن يتحقق هذا الحضور من خلال وسائل الإعلام، والفضاء الرقمي، وتنظيم الندوات العلمية والثقافية في الجامعات، والمشاركة في الحوارات الاجتماعية.

في وقتنا الراهن، يحصل كثير من الشباب على معارفهم الدينية لا من المنابر والكتب التقليدية، بل من الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي. ومن هنا، يتوجب على الحوزات أن تنخرط في هذا الفضاء، وأن تنتج محتوى دينيًا موثوقًا، جذابًا، وسهل الفهم. وهذا يتطلب إعداد طلاب على دراية بالتقنيات الحديثة، وقادرين على توظيفها في نشر المعارف الدينية.

■ تعزيز البعد الروحي والأخلاقي

إلى جانب البعد المعرفي، ينبغي الاهتمام بالبعد الروحي والأخلاقي للدين. فكثير من الشباب يبحثون عن تجربة دينية عميقة وروحية. وعلى الحوزات أن تولي اهتمامًا أكبر بالعرفان، والأخلاق التطبيقية، وتزكية النفس، وأن تُظهر أن الدين ليس مجرد مجموعة من الأحكام، بل هو طريق لسموّ الإنسان وقربه من الله.

إن تنظيم المجالس الروحية، وحلقات الذكر والدعاء، والبرامج التربوية، يمكن أن يسهم في تعزيز هذا البعد. ويجب أن يشعر الشباب بأن الدين لا يقتصر على الآخرة فحسب، بل يمكنه أن يمنحهم الطمأنينة والمعنى والغاية في حياتهم الدنيوية أيضًا.

■ الخاتمة

إن الهوية الدينية لجيل الشباب مرهونة بتفاعل بنّاء بين التراث والحداثة، ويمكن للحوزات العلمية أن تؤدي دورًا محوريًا في تسهيل هذا التفاعل. ويتطلب ذلك تحولًا في البنية، والأساليب، والرؤى داخل الحوزة. فالحوزات التي تنجح في مواكبة حاجات العصر وتحدياته ستكون قادرة على تربية جيل من الشباب المؤمنين، الواعين، والملتزمين، الذين لا يحافظون على الدين فحسب، بل يحيونه ويجعلونه حاضرًا وفاعلًا في صميم الحياة المعاصرة. وهذه هي أعظم مسؤولية تقع اليوم على عاتق الحوزات العلمية.

■ تعريف بالمراكز والمؤسسات الدينية الشيعية

مركز الثقافة الأسرية

■ مركز الثقافة الأسرية التابع للعتبة العباسية المقدسة افتتح هذا المركز في تأريخ العاشر من آذار عام ٢٠١٨م الموافق العشرين من جمادى الآخر سنة ١٤٣٩هـ ذكرى ولادة مولاتنا السيدة الزهراء عليها السلام من قبل المتولّي الشرعي للعتبة العباسية المقدسة سماحة السيد أحمد الصافي (دام عزّه).

يُعنى المركز بالأسرة العراقية ويعمل على زيادة الوعي الثقافي لها ويقف عند المشاكل التي تمر بها الأسرة سواء كانت مشاكل تخص (الزوجة أو الأطفال أو المراهقين أو الطالبات في المرحلتين الثانوية والجامعية) كذلك يُعنى المركز بفئة المقبلات على الزواج والمتزوجات حديثاً.

إذ لدينا برنامج خاصّ لتدريب هذه الفئة على المرحلة الجديدة التي ستواجههم وهي مرحلة الزواج وتكوين الأسرة.

يوجد لدينا ملاك متخصّص بالطبّ النفسي له القدرة على معالجة حالات (الإكتئاب، القلق، الوسواس القهري، الرهاب...) إلى آخره من الأمراض النفسية الشائعة في المجتمع.

■ الرؤية:

تحقيق الإستقرار النفسي للأسرة العراقية عن طريق مشروعٍ ريادي مميز.

■ الرسالة:

توفير الخدمات النفسية لأفراد الأسرة كافّة ومتابعتها من خلال خطة متكاملة تهدف إلى تنمية فريق عمل متدرّب بالوسائل المتاحة.

■ الأهداف:

- زيادة وعي الأسرة العراقية بأهمية الإستقرار الأسري.
- رصد حاجات الفئات المستهدفة (الأزواج، الشباب، المراهقين، المقبلات على الزواج).
- تقديم الدعم النفسي للفئات المستهدفة بنشاط المركز.
- إقامة الأنشطة والفعاليات التي تحقّق أغراض المركز.

■ رقم الهاتف

٠٧٨٢٨٨٤٥٥٥

٠٧٦٠٢٣٢٣٠٣٢

قَبَسٌ مِن نور

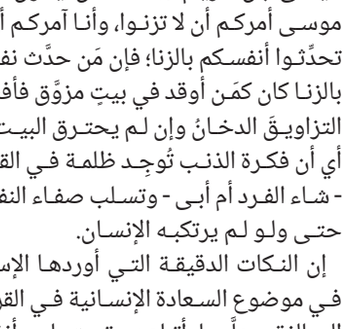

التفكير في الذنب

■ الشيخ محمد تقي الفلسفي قدس سره

■ إن الإسلام يخطو خطوة أوسع في هذا المجال، ويقول بأن الإنسان الواقعي هو الذي لا يكتفي بترك الذنوب فحسب، بل لا يفسح مجالاً في ذهنه وفكره للتفكير في الذنب، ولا يدع الفكرة المظلمة تمر بخاطره. فإن التفكير في الذنب حتى ولو لم يصل إلى مرحلة التطبيق، يُوجِد ظلمة روحية في القلب ويمحو الصفاء الروحي من الإنسان.

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «صيام القلب عن الفكر في الآثام، أفضل من صيام البطن عن الطعام».

ويقول إمامنا الصادق عليه السلام راوياً عن عيسى بن مريم عليه السلام أنه كان يقول: «إن موسى أمركم أن لا تزنوا، وأنا آمركم أن لا تحدِّثوا أنفسكم بالزنا؛ فإن مَن حدَّث نفسه بالزنا كان كمَن أوقد في بيتٍ مزوَّق فأفسد التزاويقَ الدخانُ وإن لم يحترق البيت»... أي أن فكرة الذنب تُوجِد ظلمة في القلب - شاء الفرد أم أبى - وتسلب صفاء النفس، حتى ولو لم يرتكبه الإنسان.

إن النكات الدقيقة التي أوردها الإسلام في موضوع السعادة الإنسانية في القرون السالفة وعلَّمها أتباعه، تستجلب أنظار العلماء المعاصرين في العصر الحديث فنراهم يفطنون إلى تلك الحقائق في كتبهم ومؤلّفاتهم: (للأمل والإيمان والإرادة القوية أثر كبير على الجسم، وهو يشبه أثر البخار على القاطرة. إن النشاطات الجسدية والروحية تتكامل بدافع الحب فتكسب الشخصية قوة ورصانة وكمالاً. وعلى العكس فإن الرذائل تحط من الشخصية وتسحقها. إن الكسل والتردد في الرأي - مثلاً - من أهم العوامل على جمود الفكر، وكذلك العجب بالنفس والغرور والحسد فإنها من عوامل التفرقة والتباعد بين الناس، وهي جميعاً تمنع النفس البشرية من التكامل).

(إن المعاصي - كما نعلم - تقلل من قيمة الحياة المعنوية. وإن تحمل العيوب والنواقص خطأ فظيع. فليس كل شخص حراً في تصرفاته، وعلى هذا فالذي ينحرف عن الطريق المستقيم في الحياة ويبدو متكاسلاً مفترياً على الناس، ولا يبالي بارتكاب مختلف الذنوب، يجب أن يعتبر مجرماً عاماً. ولكل ذنب آثاره الوخيمة، حيث يؤدّي إلى الانحرافات العضوية والنفسية والاجتماعية. فكما أن العض على أنامل الندم لا يتلافى العيوب الناشئة في جسد المدمن على الخمرة أو العيوب الوراثية في أطفالهم... كذلك لا يمكن ترميم الانحرافات الناشئة عن الحسد والحقد والغيبة والأثرة والأنانية).

إن كل ما هو ممنوع في الشريعة المطهَّر، وكل ما يعتبره الإسلام ذنباً وإجراماً، يتصل إما بضرر مباشر أو غير مباشر تجاه المصالح المادية أو المعنوية للإنسانية حتماً، غاية الأمر أن البشر لم يطلعوا على جميع تلك الجوانب. ويرى البعض كثيراً من الذنوب كشرب الخمر والقمار والاتصالات اللامشروعة بين الجنسين رائجة في الدول الغربية، فيظن أن الإسلام قد حرّمها عبثاً... وهو في توهّمه هذا غافل عن أن ذلك كله حسب حساب دقيق، فقد يأتي يوم يفطن فيه الغرب إلى أضرارها فيمنعها أيضاً!

في رسالة من محمد بن سنان إلى الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام يسأله فيها عن صحة ما يدعيه بعض المسلمين من عدم وجود حكمة للحلال والحرام في الإسلام، وأن المقصود من ذلك هو التعبّد والانقياد إلى الله فقط. فكتب عليه السلام في جوابه: «... قد ضلَّ مَن قال ذلك ضلالاً بعيداً»، ثم يسترسل في ذكر تحريم المحرمات فيقول: «ووجدنا المحرّم من الأشياء لا حاجة للعباد إليه، ووجدناه مفسِداً داعياً إلى الفناء والهلاك».

الآفاق
السنة الرابعة
الـ ١٣٥
الإثنين ٢٢ رجب ١٤٤٧ هـ.ق
٤ صفحات
Ofogh-e Hawzah Weekly
مركز إدارة الحوزات العلمية
المشرف: رضا رستمي
رئيس التحرير: علي رضا مكتب‌دار بمساعدة الهيئة التحريرية
هاتف: ٣٢٩٠٠٥٣٨ ٢٥ ٩٨+ • فاكس: ٣٢٩٠١٥٢٣ ٢٥ ٩٨+
ص. ب: ٣٧١٨٥/٤٣٨١
العنوان: قم، شارع جمهوري إسلامي، زقاق ٢، رقم ١٥
الموقع: www.ofoghhawzah.ir
البريد الالكتروني: info@ofoghhawzah.ir
تصميم: مرتضى حيدري آهنگري
مسئول الطبع: مصطفى اويسى • طباعة: صميم ٢١ ٤٤٥٣٣٧٢٥ ٩٨ +

مقالة

العقل العلمي والأخلاقي في القرآن الكريم

■ بقلم الشيخ شفيق جرادي

⚠ الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الآفاق» بالضرورة، بل تعبر عن رأي أصحابها

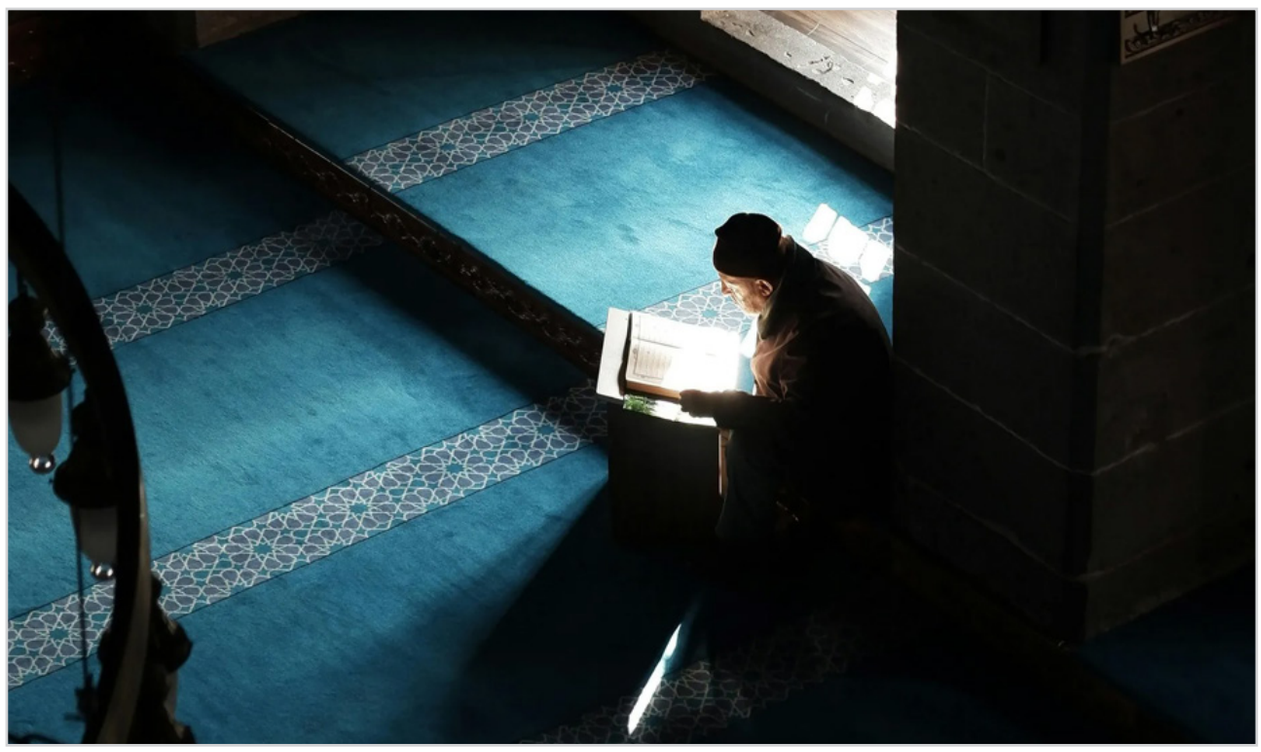

قد يكون المُستطلع للعنوان أمام خيارين:

الخيار الأول: إما أن يقوم بعملية تفكيك وتجزئة للعنوان وذلك للحديث فيما هو العقل، وما الأخلاق وما العلم؟ إلا أن هذا من غير المعلوم أن يجعلنا في مواجهة المهمة المطلوبة، وهي استكناه مضامين دلالات المعنى لهذه المفردات على ميدان مسار القرآن الكريم- لذا سأتجنبه ولو بقدر.

الخيار الثاني: إما أن نتعامل معه كوحدة تركيبية دلالتها المباشرة فيما تثيره من انطباع عند الباحث في الشأن القرآني وموقع العقل العلمي فيه، والعقل الأخلاقي، وهذا ما أميل إليه.

وهنا لا بدّ لي أن أصرِّح بأن القرآن الكريم في معالجته للموضوعات قاربها بنحو ترك المجال فيه للمتفكّر والمتأمّل من الناس، وبتحريض ترغيبي أو استنكاري أو تنديدي ليأخذ الإنسان دوره في فهمه البشري لتلك الموضوعات والاجتهاد فيها. والتركيز الكبير على الغائية التي تتضمنها تلك الموضوعات؛ فالغائية في النص القرآني تكاد أن لا تفارق، وبالضرورة، أي مثل قرآني، أو وعد ووعيد وسنة وحقيقة وحوار. والملفت هنا أن هذه الغائية تحمل كل مرة ومع كل آية أو بيان آليات من الديناميات والطاقة المبثوثة والموجهة، بل والخاصة بنفس الموضوع الذي تطرحه الآية مما يعطي هذه المفردة، أو تلك حيثيتها الغائية الخاصة.

فالحديث عن الصبر له غاية، وللبلاء غاية، وللمرض غايةكما للحياة والفرح والحزن والولادة والموت. وهي غاية وثيقة بالموضوع ومنبعثة من غاية كبرى توحد المضمون القرآني، بحيث إن الخصوصية الخاصة بالموضوع دنيويًا كان أو غير دنيوي، وهو دنيوي غالبًا، فإنه بحث الجعل البشري فينا للبحث في الموضوع ربطًا أولًا بحيثية الغائية الخاصة. وهنا تكمن أهمية الجدلية التكاملية بين غائية إلهية ما، وبين موضوع يشار إليه كموضوع يحمل عليه العقل العلمي سواءً بمعنى المعرفة، أو الاستكناه، أو العلاقة بين الأشياء في عالم الكون. بإعطائه الدور الذي يعبِّر عن واقع الكون والحياة ووقائعها.

درس الموضوع أو العلم به هو وظيفة الإنسان واجتهاداته وملاحظاته وخبرته، وكل تلميح قرآني للموضوعات هو من باب الإشارة، وإلا فالمسؤولية هي على الناس، ولا يحق لأي مؤسسة دينية باسم الدين أن تنسب للدين كشفًا علميًا. الإسلام هنا، والقرآن هنا.. يُلفت للتدبر ويزرع في الرؤى والكشوفات الغاية، وهي باسم واحد ومحدد تعني الهداية للصراط.

وهنا نستند لهذا الطرح لقوله سبحانه: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾. فما الذي أعطاه ربنا لخلقه؟ وما طريق الهداية وغائية كل شيء؟

إنهما عنوانان مرادفان لما أسميتموه بالعقل العلمي.

لكنه العقل المسؤول ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾. أما العقل الأخلاقي فقد نسميه العبادة، أو الاستقامة أو ما شئت، لكن ما عبَّر عنه النبي ﷺ هو "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" كغاية كمالية للحياة بمن فيها من أفراد وأسر وجماعات وشعوب.

لا شك عندي أن قسمًا كبيرًا منا، بل أغلبنا يتفق على كون العلوم الطبيعية الحديثة والعلوم الإنسانية ليست نتيجة وحي إلهي، بل هي نتاج بشري لعقل إنساني قدّر الله عمله وأولاه التكريم ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ﴾. لكنني لا أشك أبدًا أن كل واقع أو خبرة أو علم ومعرفة تنطوي في ذاتها على قيمة تحدد دورها ومصيرها وهي التي قصدتها بالغائية، وبحسب هذا الدور والمسار يكون المرء إما شاكرًا وإما كفورًا. فقد يكون أي علم أو معرفة محراب طهر وقداسة نسميها التقوى والورع مما يجعل معرفة الله والخشية منه ميزة العلماء ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾. وبمقلب من قيمة مختلفة قد يتحول العلم والمعرفة إلى شيطان وشطط.

إذن، العلم أمرٌ بشري يقصد بذاته وهو مورد خلّاقية الناس. أما سَمْته فبوفق منظومة الهداية أو الضلال التي تطبعه وتأخذه إلى مجالاتها.

لكن السؤال: هل الأخلاق علم من العلوم البشرية؟ وهل النزوع الأخلاقي كما النزوع العلمي جعل إلهي زرعه الله فيما خلق، وقدَّر ثم هدى؟

ليس من شك عندي أن فلسفة الأخلاق بنظامها التعليمي التقليدي هي نتيجة عقل وخبرة بشرية تراكمية تقلدتها الشعوب جيلًا بعد جيل. وأنه ثمرة من ثمار التفكير النقدي للعقل في مساره العملي عند الإنسان.

وأنه في أغلب ما اتسم قديمًا كان نتيجة كونه ملحقًا بمبحث الوجود والموجودات، حتى ولو عدّ بعض الفلاسفة مكانه في الطبيعيات. ولا شك عندي أن المفسِّر قادرٌ على إضفاء صفة النظام الأخلاقي على القرآن الكريم وفق خلفياته في الأخلاق ومباحث موضوعاتها. لكن هذا التطبيق الأخلاقي كالتطبيق العلمي على القرآن هو في كثير من وجوهه نتيجة إسقاط ما، وأن القرآن ليس مهجوسًا بشجرة الأخلاق وفروعها المفاهيمية، بل هو يحرض البشر لدرسها.

أما الأخلاق وكما المعرفة فهي طريق وآليات للوصول نحو غايات منها:

صدق العهد في الميثاق: وأقصد بذلك أن أصل الدين هو ميثاق إلهي عهد به للإنسان ليشكل بهذا العهد الميثاقي حقيقة إنسانيته، وأن صيغة العهد الميثاقي (التوحيد) جاء من قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لاَ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾. والعهد هنا وصية لميثاق تكويني توحيدي تبلور وأرسل للرسل وللناس للصدق في التزامه والثبات عليه. فهو موضوع عقدي مبني على التزام أخلاقي غير قابل للنقض وإلا اعتبر النقض شيطنة وكفرًا.

لذا، كان الصدق في العهد أول سلّم القيم الأخلاقية، وهو يقتضي الوفاء باعتباره أمانة الله فينا. وهي المسؤولية العظمى. إذن، عهد وصدق ومسؤولية وأمانة، وكل ذلك مبني على معرفة قد يعبّر عنها بالقلب السليم، أو العلم اللدني، أو الخشية العلمائية، أو الألباب، وهذه كلها أحزمة نور معرفية لها تجلياتها الأخلاقية. أما مضمونها التفصيلي فهو في الميثاق التوحيدي سيّال ينسحب على الناس والزمن والأحداث وجغرافية الشعوب والأمم. ومن أعلى تجلياته العبادية الصلاة باعتبارها روح العبودية لله، ومعراج روح المؤمن إلى ربه، وبدونها كل يعمل على شاكلته، أما مواطن الميثاق ففي كل مورد وحال ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. ولهذا السبب أطلقت مدرسة الصدرائية الجديدة في التفسير أن ملاك النظام الأخلاقي في الإسلام عباديّ.

ففي الوقت الذي ينشغل فيه الباحثون الأخلاقيون في إضافة مسميات على الأخلاق هي الأخلاق الممدوحة حينًا، والأخلاق الأخروية حينًا آخر، أو أخلاق الحب، أو النفعية والذرائعية، أو الأبيقورية، أو أخلاق القوة، أو أو أو.. فإن القرآن يترك بحث الموضوع لأصحاب التأويلية، ويفتح أمام الحياة معنى الأخلاق كما يفتح قداسة العلم ويبجل الفعل الأخلاقي والمعرفة العلمية. قد يفتح القرآن أبصار التدبر على التعقل والتفكر والقلوب كما النفوس، لمعرفة مناشئ المعرفة والأخلاق، لكنه معني بهداية الناس إلى فعلهم وتصاريف الحياة بخيرها وشرها. وإلى مصيرهم المرهون بحقيقة واقعهم الذي هم فيه فعلًا. والملفت هنا أن الله سبحانه وتعالى لم يقدّم نفسه بديلًا عن كل ما ينبغي للإنسان فعله.

فمن أراد العلم فليتدبر هو، والله يعينه، ومن أراد النصر فليعدّ هو بنفسه لوازم النصر وتحقيقه والله كفيله. لكن صناعة التغيير ومعرفة الحقائق وصلاح الأمور لا يمكن أن يحصل بالتمني والترجي والتواكل.

وسآخذ لهذه النقطة مثالًا؛ في قراءة للشهيد المفكّر مرتضى مطهري يعتبر فيها أننا لو أردنا إعطاء صفة جامعة للأخلاق القرآنية لكانت "العزة"، ومن باب الاستطراد الخفيف فعلًا، لم أجد في الأخلاق والمكارم القرآنية أن الأنطوائية أو العزلة تبني أخلاقًا، بل هي تبني نحوًا من الهمود. وفارق بين المزاج الهامد، وهو السائد شعبيًا كونه أخلاقًا، وبين الأخلاق القرآنية ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾. نعود لصفة العزة، حينما قدّمها القرآن الكريم وربطها بموضوعة القوة معتبرًا أن مصدرهما المكتمل هو الله ﴿أَنَّ الْقُوَّةَ للهِ جَمِيعاً﴾. ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾. فكمال العزة التي تتحدى كل الظروف حصرًا هي عند الله، لذا في الدعاء من أعزّه الله فلا مذلّ له.. والقوة هي المظهر البادي في موازين أي صراع مبني على المعادلات القائمة.

فلو تعرّض أهل الإيمان بالله لضعف ما، أو انكسار، فما هو الخيار الأخلاقي الذي عليهم أن يعتصموا به؟

والحديث هنا ليس عن أصحاب أخلاق المتاع الدنيا!!

وليس عن أصحاب الخمول الديني الشكلي، بل عن أصحاب الأخلاق القرآنية. الذين قال عنهم الله سبحانه: ﴿وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، رفض لهم الهوان والحزن، ووصفهم بالأعلون شرط الإيمان. والإيمان هو اطمئنان بالقضية التي تثقون بها وبجدواها وأحقيتها، فحتى إيمانك بالله واليوم الآخر إن لم يقترن بإيمان بقضايا صراع الحق ضد الباطل هو إيمان منقوص؛ الإيمان بالرسالة، الإيمان بأننا نستطيع مواجهة الظلم وننتصر، الإيمان بفلسطين، الإيمان بأن دماء سيد شهداء الأمة هو صراط الله المستقيم للصلاة في المسجد الأقصى، أي خلل أو تزلزل سيساوي إيمانًا منقوصًا، أما درع هذا الإيمان فهي روح العزة، وأن من كان مع الحق لا تُذلّه الأيام والبلايا أبدًا. المصدر هنا وحيٌ يوحى وقلبٌ مستنير وعقل يُقعِّد الحقائق وقلب يستنير بنور الرحمن.

والأصل هو التحقق في التخلق، وكل كتابة هي مشاركة للغير في أفقهم المعرفي الذي وصلوا إليه.

اسلك في ذلك السبيل الذي ترتئيه من مدارس الأخلاق، لكن سبيل العزة في تحقيق النظام الأخلاقي يقوم على ركني الصلاة كشهادة شاهدة على العهد مع الله بالميثاق التوحيدي. والجهاد كشهادة توهب من حيٍّ لا يموت، لمن إذا قتل فلأنه صدق ما عاهد الله عليه فانتقل الحي الذي لا يموت إلى مقام عند الحي الذي لا يموت. وعدم الموت هنا يتيح بناء حياة معرفية توصل الحياة الدنيا بالموت وبعده. وتبني روح أخلاق لا انفصام فيها، بل في خطوة فيها أطلق عليها القرآن اسم التقوى باعتبارها المقام الأعلى للإيمان وحركة الانبعاث الأخلاقي والعلمي والجهادي في أفق بناء أفراد الحياة وجماعاتهم ومؤسساتهم.

إننا مدعوون لقراءة عقل العلم والأخلاق خارج الإطار السائد ولنتلمسه من واقع حال الجهاد القرآني.

والفرصة أن حياة العرفاء في القرآن من صنّاع الحياة كثر الذين رسموا للمعرفة بما فيها معرفة الله ومعرفة الطريق وعلى قواعد نفضت أخلاق العزلة، وتجلببت أخلاق النهضة القرآنية، وما سيرة سيد شهداء الأمة عنا ببعيدة.

لقد تمسك في تعاليمه القرآنية على أصالة الموعظة في إثارة روح الأخلاق المغيَّاة بالصبر والبصيرة وخدمة الناس ورقابة الله، بحيث أين يجب أن نكون كنا. ورغم جدارته المعرفية بعلم الأخلاق وفلسفتها، لكنه اعتبر أن للقرآن نموذجه الذي ضيَّعه الناس في الوقت الذي خاطب فيه الله سبحانه نبيه قائلًا: ﴿وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغاً﴾، ولقد واكب فقه الحياة وتطور معارفها الثقافية والسياسية على نهج ثنائية العقلانية الدقيقة والمعنوية التي تبني الموقف والإرادة والثبات خارج كل تصاريف الأيام والليالي، فنحن قوم إن انتصرنا انتصرنا، وإن استشهدنا انتصرنا؛ إذ النصر الحقيقي هو انسجام الإنسان مع نفسه في صدقه مع ميثاق ربه. فالضلال الفعلي والهزيمة الحقة هي نقض العهد مع الله، وإرضاء المخلوق رغم إغضاب الخالق. أما الصلاح والنصر فبانتهاج الحق ونصرة المظلوم وإن قل الناصر والمعين.

فإن كانت سبل العلم متنوعة ومتعددة إلا أن الجامع فيها أن تستنير العقول والقلوب بنور مصدر كل حقيقة، مما يجعل الأرواح معلقة عند الملأ الأعلى، فلا تبنى الحياة إلا باقتدار نور العظمة.

أما الأخلاق التي لا تفارق مفردة من مفردات الحياة فالجامع النظام لها وفيها أبعد من كونه مجرد مفاهيم للتدارس، بل هي نمط حياة النفوس والقلوب والناس.

ما زالت الأبواب مفتوحة أمام كل عاقل متخلق بالمكارم أن يفتح ميادين العلم والأخلاق على العزة الإلهية الممنوحة للناس لطفًا ورحمةً وكرمًا.

المصدر: معهد المعارف الحكمية

شعر وقصيدة

■ حلمي البغدادي

البعثة النبوية الشريفة

بُعِثَ الأمينُ إلى الخلائِقِ نُورا
وهُدىً أتى للعالَمينَ بَشيرا
أهلاً بهِ أملاً أضاءَ قُلوبَنا
لولا محمدُ أظلمَتْ دَيجُورا
بالوَحْيِ جاءَ وبِالمُنيرِ مَحَجَّةً
وفمٍ يَضُوعُ مدى الزمانِ عبيرا
بالمَكْرُماتِ مَناقباً يُصْلِحْنَنا
وبكلِّ آياتِ الحِسابِ نذيرا
هي بِعثةٌ فيها معاجِزُ جَمَّةٌ
سطَعَتْ بِخَيْرِ المُرسَلينَ ظُهُورا
سجدتْ جوارُحُهُ جميعا عابداً
للهِ ربّاً خالقاً وخبيرا
مِنْ قبلِ أنْ تَرِدَ الرسالةُ دعوَةً
للعالمين أتَتْ لتنشُرَ نُورا
بُعِثَ النبيُّ محمدٌ في غارِهِ
وهو المهيّأُ للكفاحِ طَهُورا
هُوَ للبريّةِ ترجُمانُ مَكارِمٍ
تَهَبُ المُصابِرَ جَنَّةً وسُرورا
بَعَثَ الرحيمُ محمداً رِفقاً بِنا
فهوُ السبيلُ الى الجِنانِ مَصِيرا
وهو الحَريصُ على العبادِ رعايةً
رُوحِي فِداهُ مُكابِداً وصَبُورا
لم يسترحْ طولَ الحياةِ مُجاهِداً
رَغَمَ النّوائبَ بِغْضَةً ونُفُورا
حتى علا صوتُ المؤذِّنِ هاتِفاً
بالمُؤمنينَ ألا اشكُرُوا تكبيرا
طوفوا ببيتِ اللهِ بَيتا آمِناً
مُستبْشِرينَ مُهلِّلينَ حُبُورا
في يومِ مبعثِهِ الشريفِ تحيةٌ
مِلءَ الوجودِ تحفُّهُ مَشكُورا
لولا نضالُ محمدٍ وفِداؤُهُ
كرمى تضامُنِنا لَكُنّا بُورا
صلى على طه الحبيبِ كرامةً
ربُّ الخلائِقِ باعِثاً ونصيرا
صلى عليهِ مُهلّلاً ومُكبِّراً
ومُلبِّياً عَبَدَ الإلَهَ شَكُورا

نصيحة نفسية

سر الطمأنينة الحقيقية

■ السكينة الأصيلة لا تنبع من الممتلكات التي تملكها، بل من الإدراك الذي تكتسبه. هي تنشأ من قدرتك على إعادة بناء نفسك عقب كل إخفاق، ومن إدراكك أن الوجع مجرد مرحلة عابرة وليس جزءاً من هويتك. تأتي من جرأتك في مواجهة الفقدان دون فقدان جوهرك، ومن حكمتك عندما تقرر الابتعاد عن ما يرهقك، ليس ضعفاً بل قوة تجاوزت الارتباط السلبي. سعادتك تنمو من يقينك بأن الختامات ليست دائماً خسائر، بل فرصة نظيفة لانطلاقة أصدق. من قدرتك على اكتشاف الإيجابيات وسط الاضطراب، والصمود عندما تتزعزع الأسس. ومن إيمانك الراسخ بأنك جدير بنفس هادئة، وقلب مطمئن، وروابط لا تفرض عليك التقليل من شأنك للحفاظ عليها. عندما تلتزم بعدم قبول إلا ما يتناسب مع قيمتك الحقيقية، تبدأ الحياة في النهاية بأن تعكس صورتك الأصيلة.